

الإخبار

■ **رئيس التحرير** -

■ **الصدر المسؤول**،

■ **إبراهيم العبد**

■ **نائب رئيس التحرير**

■ **بشار أبو صعب**

■ **مدير التحرير**

■ **مضيفة قلمية**

■ **محاسن التحرير**

■ **محمد زبيب**

■ **هدى عليا**

■ **إيلي حيا**

■ **الناشر**

■ **شركة كرم**

■ **صادرة عن شركة**

■ **أخبار بيروت**

■ **المكانات بيهوت -**

■ **فردات - شارع دولت**

■ **سنتر كوتكورد -**

■ **الطابق السادس**

■ **تلغرام:**

■ **01759500**

■ **01759597**

■ **ص.ب 5963/113**

■ **المنصات**

■ **الوكالة الصحفية**

■ **ads@al-akbar.com**

■ **01759500**

■ **التاريخ**

■ **شركة الابلد**

■ **01759531-15**

■ **03 / 828381**

■ **الموقع الإلكتروني**

■ **www.al-akbar.com**

■ **صفحات التواصل**

■ **Facebook**

■ **AlakbarNews**

■ **Twitter**

■ **AlakbarNews**

■ **Instagram**

■ **alakbarnews-paper**

أسعد أبو خليل *

حللول هذا الصيف في تورن، سيكون قد مرّ على رئاسة نتنياهو للحكومة الإسرائيلية أكثر مما مرّ على رئاسة ديفيد بن غوريون. والمقارنة بديفيد بن غوريون ليست مجرّد مقارنة بين رئيس حكومة وآخر في بلد ما. الهتافات في مهرجانات نتنياهو تبدأ وتنتهي بـ«الملك يبيني» وغلاف مجلّة «تايم» في عام 2012 أخذ عنوان «الملك يبيني» كاتب سيرة بن غوريون، شبتاي تيفيت، أعطى للقارئ فكرة واضحة عن طبيعة دور المؤسّس في النظام الإسرائيلي الحاكم. كان الوزراء والنوّاب والمستشارون يستغرقون بعد مغادرة بن غوريون للقاءة أو غرفة الاجتماع. في بحث ما عناه بن غوريون في تلك العبارة أو هذا المصطلح أو هذه الإيماءة. وقد طبع بن غوريون النظام الاحتلالي القائم بتخصّصه، كما أنّ نتنياهو طبع على مرّ أكثر من عقد السياسة الإسرائيلية بشخصه.

بالعِرب، نتيجّة مياشرة للدعاية العبريّة والإسرائيليّة التي استهدفت العِرب. في تقدير واحترام الديموقراطية في إسرائيل، حتى لو بحثنا في سمات هذه الديموقراطية بين اليهود حصراً. ومع تجاهل العنصر الاحتلالي لدولة بنتقفي وجودها من دون الاحتلال، فإنّ الديموقراطية الإسرائيليّة ليست مثل باقي الديموقراطيات (على مساوئ) باقي الديموقراطيات، حاولت إسرائيل تحت قيادة بن غوريون حشر نفسها بين ديموقراطيات الغرب والعالم الحرّ، من أجل نيل غطاء غربي للمشروع الصهيوني، (وبدا ذلك منذ مؤتمر فندق بلتمور في نيوبيورك في عام 1942، والذي كرّس ربط المشروع الصهيوني بالدولة الأميركيّة في صياغة عن دولة يهوديّة تنضمّ إلى مع بريطانيا في الحرب على الفوّز الأميركي في الحرب فيما راهن الحاج أمين على هتّر وهملر).

ظاهرة طغيان الجنرالات في الحكم في إسرائيل ظاهرة فريدة وذلك لأنّ المشروع الاحتلالي يكتسب شرعيّة أهليّة من اليهود عن طريق الحرب، المشاركة في الحرب والدعوة إلى الحرب والوعد بمزيد من الوحشيّة في الحرب المقبلة. ولم تكن الانتخابات الأخيرة استثناء من حيث دخول رئيس أركان جيش العدو السابق (مع جنراليّين بارزّيّين) في منافسة ضع نتنياهو الذي شارك في فرقة نخبة للقوات الخاصّة الإسرائيليّة. وجنرالات الحرب لا يخضعون، كما في الدول الديموقراطية «العاديّة»، بسهولة للقيادة السياسيّة. لا نستطيع أن نقول اليوم إنّ ليفي أشكول كان ممسكاً بالقرار في الحرب والسلم في الاستينيّات، ونعلم كيف كان الجنرالات يُملّون عليه.

وسمة الفساد ملازمة للحكم في دولة العدو، الذي خضع آخر أربعة رؤساء وزراء فيه لتحقيقات متنوّعة عن الفساد. والقول إنّ إسرائيل هي دولة القانون مخالف لتاريخها الذي تختار منه ما تشاء لتطبيقه، كما هي تختار من قوانين الاحتلال البريطاني ما تشاء كي تطلّقه على الشعب اليهودي، وحتى على اليهود في الدولة، في ما يتعلّق مثلاً بقوانين الحظر والرقابة العسكريّة. والعدوّ من خلال الإعلام الغربي (وبعض) العربي يحاول أن يُقنع العِرب أن محاكمة ساسة في قضايا فساد دليل على مستوى رفيع من الديموقراطيّة، فيما المحاسبة ضدّ الفساد تكون ضعيفة وطليئة للغاية. صحيح أن موشي كاتشاف (الرئيس الإسرائيلي الأسبق) سُجن، لكن ذلك حدث بعد ثبوت اتّهامه بحالات عديدة من الإغتصاب والتحرّش والعنف ضدّ نساء (وقد أهملت المحكمة، لأسباب عديدة، النظر في حالات لم تصل إلى المحكمة بسبب مرور الزمن). والأداء في حالته قَبيل منه نسوية تعفّف من السجن بالطلق، لكن احتجاجات منظمّات نسائيّة إسرائيليّة هي التي فرضت إعادة النظر في التسوية وإصدار حكم بالسجن، الذي لم يستمرّ لأكثر من خمس سنوات، وقضية إسحاق رابين في الحساب المصري في واشنطن لم تكن خرقاً بسيطاً للقانون: فتح رابين في واشنطن حساباً سريّاً (لم

يعلنه في كشف الضرائب) وكان يتلقّى فيه أموالاً من مهبانة أثرياء في نيوبيورك. ولم يتلقّ عقوبة ولم يُسجن يوماً. وقد مرّ على تحقيقات فساد نتنياهو وزوجته سنوات طويلة من دون محاكمة رسميّة. والتباطؤ يعود إلى أن المُدعي العام كان وزيراً لصيفاً بنتنياهو نفسه.

وبالإضافة إلى أن الديموقراطيّة العنصريّة تسري على صفوف اليهود انفسهم، حيث لا يتمتّع يهود آسيا وأفريقيا (نحو نصف اليهود) في الطاقم السياسي، فيما صعد يهود الاتحاد السوفياتي بسرعة في سلم السلطة، والتعاطي مع اليهود الأفريقيّين والمهاجرين الأفارقة هو ترسيخ العنصريّة أيديولوجيّة لا تتكّن البغض والاحتقار للحرب والمسلمين فقط. بننا نعلم من سيرة نتنياهو الذي كتبها انتشيل بفر (وهو كان كاتباً في صحيفة «هارتس» قبل أن ينتقل إلى مجلة «ايكونومست» التي باتت أقلّ نقدية في تغطيتها للشرق الأوسط وأقلّ تعاطفاً مع الشعب الفلسطيني. لكن هذا التغيير في تغطية المجلّة يسري على الصحافة البريطانيّة بصورة عامّة، خصوصاً الليبراليّة منها، مثل «إنديبندنت» و«غارديان»)، بعنوان «يبيني: حياة وأزمان بنتقفي وجودها من دون الاحتلال، فإنّ نتنياهو. هذا رجل ابتكر لنفسه، كما ابتكر أبوه من قبله، سيرة ذاتيّة ملائمة. والكثير من شخصيّة نتنياهو ماخوذ من عالم أبيه، بنزيون الغريب.

انتمى بنزيون مبكراً (قبل سن العشرين) إلى فرع الصهيونيّة الأكثر تطرفاً، المعروفة بـ«الصهيونيّة المراجعة»، التي اتّسها فلاديمير جابوتنسكي. والتطرّف سمة للصهيونيّة، والانشقاقات لم تكن لها صلة بالتعاطي مع العِرب بل في التعاطي مع بريطانيا في حقبة الانتداب، إذ إنّ الوحشيّة ضدّ العِرب كانت محلّ إجماع. وجابوتنسكي كان صهيونيّاً علمانيّاً

(أوصى بحرق جنّته، والحرق هو «تحطيم ممتلكات» في اليهوديّة). واسم العائلة «نتنياهو» ليس الاسم الحقيقي للعائلة، بل هو الاسم المستعار لجذّ بنيامين (وكان بنيامين نتنياهو في أميركا يستعمل اسم «بن ناتاي»، اختصاراً). والتأثيرات الأيديولوجيّة على فكر جابوتنسكي لم تكن خافية على أحد، إذ كانت الفاشيّة الإيطاليّة هي المنبع، الانضباط عنده هو ما يجمع الأثمة، والانضباط وسم تجربة حركة الشبيبية الـ«بختار» التابعة لهذا الفرع من الصهيونيّة. وكنت جابوتنسكي: «إنّ تفوّق الإنسان على الحيوان يكمن في المراسم»، ولهذا فإنّ الحركة اتّسمت بالانضباط العسكري، والترايبية الصارمة، والاستعراضات، والبرّات العسكريّة (وهذا يجمع بين هذه الحركة وبين حزب الكتائب الذي هو أقرب إلى جناح الليكود منه إلى حزب العمل الصهيوني). لكن الرجل الذي درس ومخّص في تاريخ القوميات لم يجد في العِرب القدرة على بلورة قوميّة لهم، ويقول في ذلك شلومو أفنيري في كتابه «صنع الصهيونيّة الحديثة»: «في ما كتب وقالّ عن العِرب بصورة عامّة، هناك نبرة استعلاذيّة إنّ لم تكن نظرة احتقار بالكامل» (ص. 179). طبعاً، يستطيع أفنيري أن يلحظ نبرة الاحتقار في خطاب وفكر الصهيونيّة المراجعة وليس في فرع الصهيونيّة الساندة (حتى 1977). أي حزب العمل الذي انتمى إليه). وإيمان جابوتنسكي بتفوّق العنصر الأوروبي على العنصر غير الأوروبي يجمع بين كلّ تتارات الصهيونيّة. ويرى جابوتنسكي عن الحرب أنها «في الزمن الحديث عمليّة وماليّة، وهي خارج نطاق قدرة الأمم المتخلّفة»، لكنّ فكر جابوتنسكي جاهر بالعنصريّة العرقيّة التي حاول الفرع الآخر أن يخفيها. أحياناً، يقول جابوتنسكي: «إنّ الأثمة تتجلّى طيفها العرقي»، ويقول أيضاً: «إنّ جوهر الأثمة، أو قلعة فرادة صورتها الأولى والأخيرة، يكمن في سماتها الفيزيائيّة المميّزة، وفي تركيبه وصفتها العرقيّة»، وهو عرض على العِرب حلّاً للمشكلة المستعصية: «جداز حديدّي من الحراب، يقيمه الصهاينة ضدّ العِرب.

إنّ مسيرة بنيامين نتنياهو (وحتى

بنزيون وبنيامين نتنياهو: سرّ (وعنصريّة) الأب

منهجه مع منهج كلّ المؤرّخين من قبله ومن بعده، وهو بحسب نقد الخبراء له. أسقط الجابوتنسكيّة التي أراد أن يكون ركناً فيها. تذكر المراجع المتعاطفة بن زيون أنه كان سكرتيراً لجابوتنسكي لكنه لم يكن كذلك (وقد وردت الإشارة الخاطئة عن ذلك في مرتبّة «نيويورك تايمز» عنه وفي مقالة «ويكيبيديا» عنه أيضاً)، وليس هناك من دليل على وعى كنه المؤسّس للمريد. وبعد تأسيس الدولة، لم يحتل بنزيون مركزاً سياسيّاً أو حتى أكاديميّاً مما خلف في نفسه مرارة شديدة ضدّ الدولة ومؤسّساتها. فمناحيم بيغن الذي ورت قيادة الحركة من جابوتنسكي رقى وعزّزّ مواقع الذين شاركوا في القتال، أو الإرهاب، الذي رافق تلك الحركة الصهيونيّة وتأسيس الدولة.

بنشأ بنزيون في العدا من دون المزيد من البحر الهائج من العدا من دون المزيد من المواقع القياديّة. أما عدم تبوّئه مركزاً أكاديميّاً في الجامعة العبريّة فهو نسبة إلى الانحياز الصهيوني الوسطي ضدّ اليمين، وهناك جانب من الصخّة في الشك، لكن بنزيون لم يستطع أن يحوز على مراكز أكاديميّة في الولايات المتحدة التي هاجر إليها (ناقماً) إلا بعد صعوبة وفي حقلّ تعليم العبريّة في السنوات الأولى. هو تفوّغ لتحرير «الموسوعة العبريّة» ثمّ «الموسوعة اليهوديّة». أما كتابه الضخم عن تاريخ اليهود في المحنة الإسرائيليّة، فقد اختلف

كثّ بنزيون عنصريّة حادّة ضدّ العِرب، وأورثها لأولاده. وقد نشرت «معاريف» محرقة اليهوديّة على كلّ التاريخ اليهودي برثمّه. فهو حاجج أنّ اليهود في إسبانيا لم يتظاهروا باعتناق الكتلثة لحماية النفس كما تقول كل المراجع، بل هو يقول إنهم كانوا مؤمنين حقيقيّين بالكتلثة لكنّ السلطات أرادت أن ترتكب محرقة ضدهم لأنّ التاريخ اليهودي هو تاريخ محارق ضدهم (وفي نظريّته هذه إهانة وإدانة لليهود).

ولبنزيون نظرة تشاؤميّة غلاميّة حول الحاضر والمستقبل. هو شكّك بإمكانيّة تشكيل الدولة ثم شكّك بقدرتها على الصمود فوجه الإعداء العِرب، ومات هذا وهو يشكك بقدرتها على البقاء أمام هذا البحر الهائج من العدا من دون المزيد من الوحشيّة (وشكّه، طبعاً في محله إذ إنّ قدرة الدولة الاحتلاليّة التي تزيد باستمرار من سجلّ مجازرها وجرائم حربها، لا تكمن في الحرب المستمرّة. أما عن حلّه المقترح، فهو واحد لا بديل له: «ليس من حلّ إلا القوّة. حكم عسكري قوي».

عاش بنزيون أكثر سنواته في الغربة الأميركيّة ومثّل الجناح الجابوتنسكي على الحركة، وهو ينسب إلى نفسه التأثير على الحزب الجمهوري عندما اعتنق برنامجاً صهيونيّاً متصلياً في 1974. أورث الأب ابنه هذا الكّم من العنصريّة والعدوانيّة

ومشوا على خطاه. إلى حد. فقد تمزّد بنيامين وأشقاؤه ضدّ الوالد الذي لم يشارك في القتال في مجتمع موغل في العسكرتاريا وفي اعتبار قتال العِرب ممراً إلزامياً للنشوء الذكوري والتطوّر السياسي. لا طموح سياسيّاً من دون المباهاة في قتال العِرب كما شهدنا في الانتخابات الأخيرة. إنّ «القوّة اليهوديّة» هي التي ستسيطر لأنّ عمليّة إبادة جماعة ستتكفّل بالعِرب فيما بعد). وقال إنّ العِرب سيفزّون من فلسطين في النهاية. أما الحروب والمجازر الصهيونيّة فهي ليست كافية بالنسبة له. «كان يجب أن نضربهم قوّة أكبر». أما عن انقلب عليهم فيما بعد) بات منسوجاً في عدد من الأفلام الهوليووديّة المملّة. الصحراء لماذا؟ لأنه لا يحترم أي قانون... إنّ النزعة نحو الصراع هي في طبيعة العِرب، هو عدوّ بالطبع. إنّ شخصيّة لا تسمح بأي نوع من المساومة أو الاتفاق. إنّ طبيعته تكمن في الحرب المستمرّة. أما عن حلّه من الذهن عملوا معه وفضّلوا غيره من الصنّاط عليه.

لكنّ موت جوناثان امذّ بنيامين بمادة للصعود والسّلوق، خصوصاً أنه حوّل اسطورة أخيه إلى مناسبة للبروز. لكنه عرف أيضاً كيف يجعل من موضوع مكافحة الإرهاب تخصصه الشخصي مبكراً، مستغلاً سيرة شقيقه الإرهابي

13 راجي الإخبار

الذي مثل نتنياهو درس في أميركا (وفي جامعة إماي تي أيضاً)، وتباعدا فيما بعد. ومثل بن غوريون من قبل، أمن نتنياهو أن مستقبل الحركة الصهيونيّة يتركّز في الساحة الأميركيّة. اتقن نتنياهو لعبة الثمانينيّات، وعُفّر مذاك.

تفوّق نتنياهو أكاديميّاً، كما تفوّقت أمه وأبوه، لكنّه انصرف عن تخصص في الهندسة المعماريّة والعلوم السياسيّة بعد أن ذاق حلاوة الإحتفاء بشخصه من قِبل المنظمات والمعابد اليهوديّة في أميركا. ومثل جدّه، تمعّ نتنياهو بطلاقة. لكن من دون فصاحة مثل أبا إيمان. سهّلت دخوله إلى عالم الدعوة الصهيونيّة والإعلام، أوائل الثمسينيّات). لكنّ لا يجب المبالغة في اثر موهبة نتنياهو الكلاميّة (هو محدث بالكلمات الأجنبية. والإعلام الأميركي دائماً يسعى إلى محدثّين فصحاء بالإنكليزيّة كي يسهّل مهمة البروباغاندا، التي اجادها نتنياهو وجعل منها محور عمله في وزارة الخارجيّة. العمل الدبلوماسي لم يجذب نتنياهو، خصوصاً أنه نظّر إلى مؤسسة وزارة الخارجيّة عندما دخلها في الثمانينيّات على أنها معقل لحزب العمل. وادار نتنياهو مؤسسة باسم أخيه في إسرائيل وهناك تعرّف. عن قصد. إلى الكثير من ساسة العدو، وهذا كان طريقه إلى عالم السياسة. والذي كان عزابه في اقتحام عالم السياسة الوزير موشى أرئّن،

التحرير ثمّ ضدّ إيران، وضدّ كلّ من تسوّل له نفسه مقاومة عدوان واحتلال إسرائيل. ونتنياهو، مثل أحمد الشقيري، يرى أن ليس هناك من مشكلة لا تجد حلّها في خطاب، خصوصاً أمام الأمم المتحدّة.

لكنّ عودة نتنياهو إلى إسرائيل لم تكن سهولة إذ إن صعوبه في الليكود واجه بعض العقبات التي واجهت أباه. لم يكن ينتهي إلى العائلات الحاكمة. لكنه، خلافاً لأبيه، شارك في القتال على عدة مواقع واستعان للقتاع على منافسيه بـ«امراء» الليكود في الجيل الثانی، مثل دان مريدور وبني بيغن، على ما تعلم من السياسة الأميركيّة (تظلّ معظم قراءات نتنياهو حتى في منصب رئاسة الوزراء، تدور حول التاريخ والسياسة الأميركيّة). وهو دخل ميدان العمل السياسي مستعيناً بالخبير الانتخابي الأميركي اليميني، آرثر فنكلشتين (الذي كان قد عمل في حملات انتخابيّة لعنصريّين، مثل السيناتور جيمس هيلمز في نورث كارولينا). ولم تنال الصحافة الأميركيّة عندما نسبت نجاحه في انتخابات 1996 إلى الخبر الأميركي. لكنّه لم يكن يأنف من الانتسّاح في الحملات الانتخابيّة خلافاً لمريدور

وبيغن أو بيريز. كان يجول في كلّ أنحاء البلاد ويصافح الآلاف، وكان أوّل من جمع أسماء المقترعين والمؤيدين في برامج على الحاسوب، وهو احتفظ من أميركا أيضاً بقوائم طويلة (وترانيّة) لأثرياء مؤلّوا ويمولّون حملاته الانتخابيّة والدعائيّة. فهم نتنياهو مثل أبیه أن الناخب الإسرائيلي يريد العنف والقسوة والمزيد من الإرهاب ضدّ العِرب، وأنّ الجيل الجديد أكثر عدوانيّة وشراسة من الجيل الذي سبقه. على عدوانيّة وشراسة الأجيال الصهيونيّة التي سبقت. وفي الانتخابات الأخيرة ظهر مدى اتّساع التأييد لنتنياهو بين الشباب. وهو بات بجاهر بعنصريّته ضدّ العِرب. ولقد اعترف بإيمانه بتفوّق العِرب الأبيض في محادثة نشرها الصحافي البريطاني، ماكس هستنغ، في كتابه «الذهاب إلى الحرب»: «قال إنّ الجنود اليهود الأفارقة وذوي الأصول العربيّة في «لواء الجولاني» يمكن أن يقوموا بإداء جنّد لو قادهم «ضباط بيض» (ص. 259. من كتاب هيستنغ، وقانون حصر حق تقرير المصير باليهود فقط هو منسجم مع العقيدة العنصريّة التي تشرّبها نتنياهو من أبيه ومن عقيدة جابوتنسكي.

لا يجب شيطنة نتنياهو لأنّ ذلك يحسن في صورة سابقه ومنافسيه. يجب شيطنة الكيان برثمّه. وبكل رموزه وقيادتيه. لأنّ دون ذلك تفضيلاً بين المحتلّين. وهذا ما أدّى بمنظّمة التحرير الفلسطينيّة إلى التهلكة.

^[1] * كاتب عربي (حسابه على «تويتر» @asadabukhalil